سلسلة تفريغات شبكة بينونة

طالب العلم والأدب

الشيخ
د. هشام بن خليل الطوسي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغًا لمحاضرة

بعنوان

طالب العلم والأدب

للشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ثم أما بعد:-

فحديثنا في هذه الليلة بإذن الله تعالى عن موضوعٍ هو في غاية الأهمية، موضوعٌ ينبغي لكل طالب علمٍ أن يتأمله ويعرف قدره، ويوليه حقه، حتى يكون هذا العلم بإذن الله تعالى مثمرًا نافعًا، ألا وهو موضوع (**طالب العلم والأدب**).

لا شك ولا ريب معاشر الإخوة، أن الأدب من أهم الأمور التي ينبغي على طالب العلم أن يتحلى بها؛ لذلك كثر كلام سلفنا الصالح –رضوان الله عليهم– عن هذه المنزلة العظيمة منزلة الأدب، وأفاضوا القول فيها، بل عدَّها عددٌ من أهل العلم بأنها من أهم المهمات في العلم، حتى إن بعضهم قال: (كاد الأدب أن يكون ثلثا هذا العلم).

وهذا لا شك ولا ريب أنهم قد استنبطوه وأخذوه من نصوص سنة نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ومما دل عليه ديننا الحنيف.

فالصحابة -رضوان الله عليهم- لو تأملنا حالهم، لوجدناهم أنهم -رضوان الله عليهم- ما كانوا يتجاوزون العشر آيات حتى يحفظوها، ويعلموا معانيها، ويعملوا بما فيهن، فتعلّموا العلم والعمل معًا، هكذا كان صحابة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأقوال أهل العلم -رَحِمَهم الله تَعَالَى- في هذه الأمر، وهو أمر الأدب كثيرةٌ أكثر من أن تحصى.

يقول عبد الله بن المبارك -رَحِمَه الله تَعَالَى-: (طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة، وكانوا يطلبون الأدب قبل العلم).

وقال -رَحِمَه الله-: (كاد الأدب أن يكون ثلثي العلم).

يقول بعض السلف -رضوان الله عليهم-: (نحن إلى قليلٍ من الأدب أحوج منا إلى كثيرٍ من العلم).

ويقول عبد الله بن وهب -رَحِمَه الله تَعَالَى-: (ما تعلمنا من أدب مالكٍ أكثر مما تعلمنا من علمه).

وكان الحسن البصري -رَحِمَه الله تَعَالَى- يقول: (كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه، وهديه، ولسانه، ويده)؛ أي أن هذا العلم إن

لم يثمر هذه الخصائص، وهذه الفضائل، وهي التخشع، والسمت الطيب، وحسن الهدي؛ فلا خير في هذا العلم الذي يتعلمه المرء، كما قال بعضهم: (علمٌ بلا أدب، كنارًا بلا حطب، وأدبٌ بلا علم كجسمٍ بلا روح).

الأدب معاشر الأحبة تكلم فيه أهل العلم وأفاضوا القول فيه، وقسمه أهل العلم إلى أقسامٍ ثلاثة:

- أدبٌ مع الله -عَزَّ وَجَل-.
- وأدبٌ مع رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.
- وأدبٌ مع الخلق.

فأما الأدب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:

فأعظم هذا الأدب: هو إخلاص العبادة لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وأعظم سوء الأدب: هو الإشراك به -عَزَّ وَجَل-، وصرف شيءٍ من العبادة لغيره ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فالموحد: تأدّب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وعرف فضله وحقه سبحانه فوحده، وأخلص العبادة لله -عَزَّ وَجَل-.

والمشرك: أساء الظن بالله، وأقلّ الأدب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فاتخذ مع الله -عَزَّ وَجَل- إلهًا آخر، وأشرك معه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في عبادته.

يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه الكريم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥]، فهكذا أمرنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالتأدب معه -عَزَّ وَجَل-، ومعرفة قدره وحقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وعبادته -عَزَّ وَجَل- وإخلاص ذلك له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فالأدب مع الله -عَزَّ وَجَل-:

- يكون بمعرفة ما له من الأسماء والصفات.

- ويكون كذلك بمعرفة شرعه ودينه -عَزَّ وَجَل-.

- ويكون أيضا بتهيئة هذه النفس واستعدادها وقبولها للحق الذي قد ألقاه الله -عَزَّ وَجَل- على جبريل، وألقاه جبريل على محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ ليصلنا بكل وضوحٍ، وبكل سهولةٍ ويسر.

فحسن الأدب في الظاهر، عنوان حسن الأدب في الباطن، فالأدب مع الله هو بإحسان صحبته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وأن يكون سرّك أيها المسلم، وعلانيتك مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سواء، فمن كان متأدبًا مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في ظاهره، ومتأدبًا مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في باطنه، فهو المؤمن

الذي قد أقام للأدب مقامه، وأتى بما يستحقه، وبما أملاه عليه ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- من التأدب معه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

يقول عبد الله بن المبارك: (قد أكثر الناس في القول في الأدب، ونحن نقول: إنه معرفة النفس ورعوناتها، وتجنب تلك الرعونات)؛ أي أن هذه النفس معاشر الإخوة لها طغيان، ولها تجاوز، فمعرفة هذه الرعونات، ومعرفة هذا الأمر الذي يكون فيه خلل في هذه النفس، وما يجب على المسلم اتجاه ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هذا الذي نقول عنه: إنه قد تأدب مع الله -عَزَّ وَجَل- حق الأدب.

ومن يتأمل معاشر الإخوة والأخوات، من يتأمل في حال الرسل -عليهم الصلاة والسلام- مع ربهم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وما كانوا عليه من حسن أدبٍ، وحسن كلامٍ، يتعجب والله أشد العجب، ويجد من حسن هذا الأدب، وحسن الكلام الشيء العظيم، والشيء الذي ينبغي على المسلم أن ينتبه له، وأن يدقق فيه حتى يتأثر بهؤلاء الكرام -عليهم أفضل الصلاة والسلام-.

فلو نظرنا في قول إبراهيم -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- حينما يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- ويحكي عن ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- واصفًا إياه، قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا

﴿مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾[الشعراء:٧٨-٨٠] انظر إلى تأدب هذا الخليل -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، ولا عجب، فهو الذي وصفه الله -عَزَّ وَجَل- بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾[النحل:١٢٠].

تأمل في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ﴾[الشعراء:٨٠] ماذا؟ ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء:٨٠] من حسن أدبه، ومن كمال أدبه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- ما قال: وإذا أمرضني الله فهو يشفيني، قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[الشعراء:٨٠] وهذا من كمال أدبه -عَلَيْهِ أفضل الصَّلَاة وَالسَّلَام-.

كذلك تأمل في قول عيسى -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- حينما قال الله -عَزَّ وَجَل- له: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[المائدة:١١٦] ماذا قال -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-؟ قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾[المائدة:١١٦] ابتدأ بماذا؟ بتنزيه الله -عَزَّ وَجَل-، وتعظيمه، وتوقيره -عَزَّ وَجَل- ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦].

قال: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾[المائدة:١١٦] تأمل في أدبه -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- وتنزيهُ لله -

عَزَّ وَجَل-، وبيان عظمة الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وأنه علَّام ماذا؟ ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦].

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)﴾[المائدة:١١٦-١١٧].

ثم بعد ذلك قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾[المائدة:١١٨] يبين ويظهر حقيقة هؤلاء العباد الذين هم عبيدٌ لله -عَزَّ وَجَل-، والعبد قريبٌ من سيده، والسيد قد عَلِمَ بحقيقة هؤلاء العبيد، ومقام القرب يقتضي الإحسان إلى هؤلاء العبيد، لكن لما كانوا لا يستحقون هذا الإحسان، قال ماذا؟ ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨] ما قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، **لماذا؟**

لو نتأمل في حسن الأدب هذا الذي كان من عيسى -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- المقام مقام غضب من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وعقوبة من الله -عَزَّ وَجَل- على هؤلاء الذين عصوه، فلا يكون من عيسى -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- أبدًا مجال لاستعطاف الله -عَزَّ وَجَل- في حق هؤلاء الذين لا يستحقون هذا الاستعطاف، فقال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ

﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة:١١٨]؛ يعني إن غفرت لهم فبقدرة منك وعلمٍ منك، وهم عبادك، فإذن نسمع هذا الكلام من هذا النبي الكريم، ونتأمل في هذا الأدب الذي كان منه -عَلَيْهِ أفضل الصَّلَاة و أتم التسليم-.

كذلك معاشر الإخوة، لو تأملنا في قصة الخضر مع موسى -عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام- حينما جاء للسفينة وخرقها، ثم بعد ذلك قتل الغلام، فقال ماذا؟ فقال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[الكهف:٧٩] يعني أن هذا الأمر مما أوحاه الله -عَزَّ وَجَل- إليه، فنسب العيب الذي حصل في السفينة إلى نفسه، وما قال: فأراد ربك أن أعيبها، بل قال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾[الكهف:٧٩]، وهذا من أدبه -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

وحينما ننظر إلى مؤمني الجن نسمع قولهم: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن:١٠] نتأمل في هذا القول، وهو أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن:١٠] والمسلم يعلم أن الله -عَزَّ وَجَل- هو خالق الخير، وخالق الشر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، والشر كما جاء ليس إليه -تعالى الله -عزَّ وَجَل- فالله -عَزَّ وَجَل- لم يخلق شرًّا محضًا.

لكن انظر إلى حسن الأدب وهو في قولهم: ﴿وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[الجن:١٠].

هذه بعض اللفتات، وبعض الكلمات الطيبة التي جاءت في كتاب ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد خلق هذه النفس، وهيأها لقبول هذا الحق، ولكن الناس منهم من زكَّى هذه النفس، ومنهم من دساها، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾[الشمس:٩-١٠] فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد خلقنا جميعًا، وأرسل إلينا الرسل، وهيأ لنا من الأسباب التي تقود الإنسان إلى الحق، ولكن ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾[الشمس:٩-١٠]، فالدين كله أدب.

لو نظرنا إلى أوامر ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- حينما يأمرنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بستر العورة في الصلاة، وطلب منا أكثر من ذلك وهو ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف:٣١] من باب الأدب مع الله -عَزَّ وَجَل- ، فأنت تقف بين يدي ملك الملوك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فينبغي على المسلم أن يكون في غاية الأدب، وفي حُسن الأدب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عندما يقف هذه الوقفة؛ فلذلك قال: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[الأعراف:٣١]؛ أي أنه لا يشمل فقط مجرد ستر العورة، وإنما يتجاوز ذلك إلى حسن اللباس،

وحسن التهيؤ، وحسن التعطر، وكذلك البعد عما يكون من الروائح الخبيثة التي نهى عنها النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَاتين الشَّجَرَتَين الخَبِيثَتِيْنَ فَلا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا»(١)

هذا كله دلالة على حسن التأدب، والوقوف أمام الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في هذه الصلاة.

كذلك نهى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يرفع المسلم بصره في الصلاة، لماذا؟

من تمام أدب المسلم حينما يقف بين من هو عظيمٌ في جاهه، عظيمٌ في مكانته إن كان من الخلق أن يخفض رأسه، ولا يرفع رأسه إليه، فكيف بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:٦٠].

لذلك أهل السنة حينما قدَّروا الله -عَزَّ وَجَل-، وعرفوا حقه، وأعطوه ما صوفه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- به نفسه من أوصافٍ، وما سمى به نفسه من أسماءٍ، كما دلت عليها آيات ربنا، وسنة نبينا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كانوا متأدبين مع الله -عَزَّ وَجَل-، ومَن صرف هذه الأمور، وابتعد عن وصف الله -عَزَّ وَجَل-

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" (٣/ ١٥٨) برقم: (١٦٦٢)

بما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كان غير متأدبٍ مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فننظر إلى أمر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- حينما نهى المسلم عن قراءة القرآن في الركوع وفي السجود، نتأمل في هذه، هل هناك حكمة من هذا الأمر، أو هذا النهي؟

نقول: نعم، لما كان مقام ذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وقراءة القرآن الذي هو كلام الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- له شأنٌ رفيع، ومقامٌ عالٍ، نهاك الله -عَزَّ وَجَل- أن تقرأه وأنت في وضعٍ فيه انخفاض، وفيه ذل وانكسار؛ فلذلك من تعظيمك لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ألا تقرأ القرآن في الركوع، ولا في السجود، كما نهى عنه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُم**»[(١)].

نهى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يُقرَأ القرآن والمسلم ساجد، وهذا لا شك ولا ريب أنه من الأدب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

كذلك من الأدب مع الله -عَزَّ وَجَل- ألا يستقبل المسلم القبلة ولا يستدبرها في حال قضائه للحاجة؟ **لماذا؟**

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢ / ٤٨) برقم: (٤٧٩)

لأن هذا ليس من الأدب مع هذه الجهة التي قد أخبر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أنها جهةٌ يستقبل فيها المسلمون الله -عَزَّ وَجَل- في صلاتهم؛ لذلك نهى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن تُستقبل القبلة، أو تُستدبر في حال البول أو الغائط، وهذا من تمام الأدب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

هذه معاشر الإخوة والأحبة هذه الأمور أشار إليها ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في كتابه الكريم، وأشارت إليها السنة المطهرة، ولكن يكفينا أن نشير إشارات إلى شيءٍ من هذه، والكلام يطول فيها، فنقتصر على ما يسعنا في هذا الوقت.

الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قال في كتابه الكريم في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[المعارج:٢٣]

ما معناها ﴿دَائِمُونَ﴾ ؟

فسرها أهل العلم بأحد التفسيرين:

- قال: يعني ساكنون في صلاتهم غير عابثين، غير متحركين بكثرة، **لماذا؟** لأن الصلاة فيها سكونٌ واستقرارٌ ولجأٌ إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وهذا الذي يكون من تمام الأدب معه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

هذه النقطة الأولى التي أحببنا أن نتكلم عنها وهي الأدب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولا شك ولا ريب أن كل مسلم مخاطب بمثل هذه الأمور، ولكن طالب العلم يخاطب بالدرجة الأولى بهذه المسائل، **لماذا؟**

لأنه ينبغي عليه أن يتحلى بها، فهو قدوةٌ لغيره حتى يتأثر الناس به، ويتعلموا من هديه وسمته.

النقطة الثانية: الأدب مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-:

والتأدب معه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لخصها أهل العلم بقولهم: (أن يُصدَّق -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فيما يخبر، وأن يُطاع فيما يأمر -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر، وألا يُعبَد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- إلا بما شرعه محمدٌ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-).

فالتوحيد معاشر الإخوة والأحبة، **التوحيد توحيدان:**

- توحيدٌ لله -عَزَّ وَجَل- بإخلاص العبادة له -عَزَّ وَجَل-.
- وتوحيدٌ للنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بألا يُعبد الله إلا بما شرعه محمدٌ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

وهذا هو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فينبغي على المسلم، بل يجب على المسلم أن يخضع ويسلم للنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أتم التسليم.

والأمر كما قال الصديق -رضوان الله عليه- حينما جاءه كفار قريش يكذبون النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وغير مصدقين بالنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، قالوا: إن صاحبك يزعم أنه قد أُسري به، وقد عُرِجَ به إلى السماوات، قال: **"إن كان قد قال، فقد صدق"** هكذا تأدب الصحابة -رُضْوَان الله عَلَيْهِم- مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وكانوا يصدقونه فيما يقول، ويطيعونه فيما يأمر، وينتهون عما ينهى عنه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ويتبعونه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ويحبونه أكثر من محبتهم لأنفسهم -عليهم رضوان الله تعالى-.

فمن الأدب مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يطاع -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- ولا يعصى، وحينما ننظر معاشر الإخوة إلى حال المسلمين في كثيرٍ من الأزمان، وحالهم في زمن الصحابة -رُضْوَان الله عَلَيْهِم- نجد ماذا؟ نجد الفرق الشاسع، صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كانوا يسارعون إلى متابعته، يسارعون إلى اتباع أمره، يسارعون إلى الانتهاء عما نهى عنه -صَلَّى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّم-، أما غيرهم لا سيما في أزمنتنا هذه فنجد البعض يضرب الأمثال، ويتفلسف أمام سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وهذا ليس من الأدب مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات:١] يعني إذا أمركم بأمرٍ فأتمروا، وإذا نهاكم عن نهيٍ فانتهوا، وإن أخبركم فاعلموا أن الخير كل الخير فيما شرعه لكم نبيكم -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فمن الأدب مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن نعلم ونوقن أتم اليقين أنه ما أخبرنا بشيءٍ إلا وفيه خيرٌ لنا، وما نهانا عن شيءٍ إلا وفيه شرٌّ لنا.

لذلك كان صحابته -رُضْوَان الله عَلَيْهِم- من أشد الناس امتثالًا لهذا الأمر، ومن أشد الناس اتباعًا لهديه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، يقول عمر -رَضِيَ الله عَنْهُ- وهو ينظر إلى الحجر الأسود، يقول: **"والله إني لأعلم أنك حجر، لا تضر ولا تنفع، ولكن لولا أني رأيت رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقبلك ما قبلتُك"**.[١]

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ١٤٩) برقم: (١٥٩٧) ومسلم في "صحيحه" (٤ / ٦٦) برقم: (١٢٧٠)

إذا جاءت النصوص، وجاء حديث النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فلا تُضرَب له الأمثال، ولا يقال: إنه لم يوافق عقولنا، وأي عقلٍ يكون أمام نصوص القرآن أو نصوص السنة، فليعرف المسلم قدره، وليقدّر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- حق قدره، وليعرف أنه موحى إليه، ومرسلٌ من ربه -عَزَّ وَجَل-، مرسلٌ إلى الناس لهدايتهم، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، للأسف الشديد نجد في زماننا هذا من يأتي إلى بعض الأحاديث التي صحت عن نبينا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ويضرب لها الأمثال، ويقول: لكن كذا، ولكن كذا.

يقول ابن القيم -رحمة الله عليه- يقول: (جمعني مع كبار هؤلاء القوم الذين يعارضون سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- جمعني بأحدهم مرةً -يعني موقف- فسألته).

يقول ابن القيم: (فسألته لو كان النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- حاضرٌ بيننا الآن، ويقول لك: اعمل كذا، ولا تعمل كذا، أكنت مؤتمرًا بأمره -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-؟ قال: نعم، قال: إذن فلماذا لا تأتمر بسنته -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-؟ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦]، ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]؛ أي أنك تقبل قول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وأنت سليم الصدر لا تعارضه ولا تضاد هذه النصوص النبوية الصحيحة التي ثبتت عن نبيك -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

لو نظرنا كذلك في حال الأحزاب، وحال الجماعات التي تنتسب إلى الإسلام في هذا الزمان وقبل هذا الزمان، حينما تنظر إليهم، وإلى حالهم، وإلى إعراضهم، إعراض كثير منهم عن سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، يقال له: هذا قول نبيك -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فيقول: لا، قال شيخي فلان، وقال شيخي فلان، وهذا من قلة الأدب مع سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ووالله لو عرفوا قدر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- ما ضربوا وما عارضوا سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- بمثل هذه الترّاهات، وبمثل هذا الكلام الذي لا يقوله من كان متأدبًا مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- حق الأدب.

ومن تمام الأدب معاشر الإخوة والأحبة مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-

التأدب مع صحابته:

التأدب مع صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- الذين نقلوا إلينا هذه السنة، وبذلوا الغالي والنفيس في نشر سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-

نشروها شرق الأرض وغربها، ضحوا بأنفسهم وبأموالهم وبكل ما لديهم في سبيل نصرة هذا الدين، فكان واجبًا علينا محبتهم -رضوان الله عليهم-، والائتمار بأمر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- حينما قال: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»(١).

بالله عليكم، من سمع بهذا الحديث، حديث النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا» وسمع بقول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «لَا تَسبُّوا أَصْحَابِي» هل من سمع هذه الأحاديث يأتي ويمدح أشخاصًا قد سبوا صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-؟! بل وصفوهم بالقادة، ووصفوهم بكذا وكذا من قادة الحزبية، ممن ينص على أن خلافة عثمان -رَضِيَ الله عَنْهُ- على سبيل المثال يقول عنها: كانت فجوة، ويسب أمير المؤمنين معاوية -رَضِيَ الله عَنْهُ-، والصحابي الجليل عمرو بن العاص، ويصفهم بأقبح الأوصاف؛ بأنهم قد غشوا، وخانوا الأمانة، ونحو ذلك، ثم يؤتى إلى مثل هذا الفاسد المفسد ويوصف بماذا؟ يوصف بأنه زعيمٌ إسلامي، أو الشهيد الفلاني، أو نحو ذلك من الألقاب التي يقولها من لم يعرف الأدب مع صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٢٧)

كذلك بعض من يدعي وينتسب إلى السنة، ويطلق بعض الإطلاقات عن صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، كقول بعضهم: إن في الصحابة غثائية، أو أن في الصحابة حزبية، أو نحو ذلك من العبارات التي لا يقولها من تأدب مع صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ لذلك معاشر الإخوة والأخوات، لا بد أن ينتبه المسلم لمقام صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فصحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قومٌ قد زكاهم الله -عَزَّ وَجَل-، ﴿رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[المائدة:١١٩]، وكما جاء أن بعضهم قد تحدث أمام بعض السلف عن معاوية -رَضِيَ الله عَنْهُ- فقال له: وما شأنك أنت بقومٍ قد قال الله -عَزَّ وَجَل- فيهم ﴿رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[المائدة:١١٩] فلماذا تدخل بينهم، وتتحدث عما شجر بينهم -رضوان الله عليهم-؟

يقول عبد الله بن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئًا"** يعني ما رآه الصحابة -رضوان الله عليهم- حسنٌ فهو الحسن.

يقول عبد الله -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"من كان مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، كانوا خير هذه الأمة، وأبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كانوا على الهدى المستقيم"**.

فمن قدّر صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فمن حبه للنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فيقدَّر هؤلاء الأقوام الطيبين الذين نقلوا لك أيها المسلم سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأتتك سهلةً جاهزةً بكل يسرٍ ولين، جاءتك سهلةً وقد ضحى أقوامٌ بأنفسهم وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل إيصال هذه السنة الصحيحة الثابتة عن نبينا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأوصلوها لنا بكل يسرٍ وسهولة.

يقول الطحاوي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- في عقيدته، يقول: (ونحب أصحاب رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ولا نفرط في حب واحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان) هكذا ينبغي أن يقدَّر صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لا أن نسمع الطعن

فيهم، أو الانتقاص من أحد منهم، ويأتي بعد ذلك بعض من ينتسب إلى السنة، أو ينتسب إلى شيءٍ من العلم ويدافع عمن سب صحابة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فنقول: هذا ليس من الأدب مع صحابته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- رضوان الله عليهم.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى النقطة الثالثة، وهي الأدب مع الخلق:

والأدب مع الخلق هذه مراتب، وأمورها كثيرة جدًّا، فالأدب مع الخلق قد تكلم أهل العلم عليه، فقسموه وذكروا فيه عدة أقسام:

- ذكروا منه الأدب مع الوالدين.
- والأدب مع السلطان.
- والأدب مع أهل العلم.
- والأدب مع الجيران.
- والأدب مع الضيف، والأدب مع كذا، ومع كذا، فبابه عظيمٌ وواسع.
- ثم ذكروا كذلك الأدب الذي ينبغي للمسلم أن يتحلى به في حياته، أدبه في نومه، أدبه في خروجه من منزله، أدبه في دخوله لمنزله، أدبه في استيقاظه، أدبه أثناء يومه وحياته، هذه كلها آدابٌ ينبغي على طالب العلم أن يتحلى بها، وأن يتذكرها ويعمل بها.

ولو وقفنا وقفةً يسيرة مع شيءٍ من هذه فهذا مما يذكرنا ويعيننا بإذن الله على هذه الأمور الخيرة الطيبة.

فمن هذا الأدب؛ الأدب مع العلماء:

ضرب سلفنا الصالح –رضوان الله عليهم– أروع الأمثلة في هذه، ونحن حينما نتأمل في واقع الصحابة –رضوان الله عليهم– ومن جاء بعدهم في هذا الأدب، نجد أنهم قد أتوا فيه بالأمور التي تثير إعجاب كل مسلم.

يقول ابن عمر –رَضِيَ الله عَنْهُ– حينما سمع النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– يقول: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ لَا يَسْقُط وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المسْلِم، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فوقع الناس في شجر البوادي، هذا يقول: شجرة كذا، وهذا يقول: شجرة كذا، فعبد الله بن عمر يقول: وقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت" ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال رسول الله –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–: «هِيَ النَّخْلَة»[1].

الشاهد من هذا: هو موقف عبد الله بن عمر –رَضِيَ الله عَنْهُ– لماذا لم يتكلم وهو يعرف الجواب، حتى إن عمر –رَضِيَ الله عَنْهُ– حينما أخبره قال: يا أبتَ

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٢٢) برقم: (٦١ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١٣٧) برقم: (٢٨١١)

قد وقع في نفسي أنها النخلة، قال: لأن تكون قلتها أحب إليَّ من كذا وكذا، وجاء في بعض الروايات: **"أحب إليّ من حمر النعم"**. لماذا لم يتكلم؟ قال: فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم، وقال في روايةٍ أخرى: **"فأردت أن أقول، فإذا أنا أصغر القوم"** وجاء في بعض الروايات قال: **"رأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم"** صحابي جليل يعرف الجواب من النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لكن ما أجاب لماذا؟ منعه الأدب، وتقدير هؤلاء العلماء الأجلاء أبو بكر وعمر -رَضِيَ الله عَنْهُم أجمعين-، فمنعه الأدب فقال: **"فاستحييت، رأيت أبا بكر وعمر"** يعني موجودان في نفس المكان ولا يتكلمان فاستحييت.

وهذا من الأدب العظيم الذي ينبغي لطالب العلم أن يتحلى به، اليوم في زماننا هذا نرى أن العالم موجود، والعلماء موجودون، وطلبة العلم يتكلمون ويبادرون بالكلام من غير تقديرٍ واحترامٍ وإجلالٍ لهؤلاء العلماء، بل زيادةً على ذلك، حينما ينصحهم بعض أهل العلم بحسن التأدب، وحسن التلطف، وحسن الكلام يأنف ويكابر ويصف العالم بأوصافٍ لا تليق، مع أن غرض هذا العالم هو تنبيهه على ما وقع فيه من باطل، ما وقع فيه من منكر، لا بد أن ينصحه ناصح، ويبين له مبين حتى يستقيم على الطريق الصحيح.

كذلك من عدم الأدب، ومن مخالفة الأدب مع أهل العلم؛ هو إساءة الظن بهؤلاء العلماء:

حينما تحصل بالمسلمين بعض المصائب، نسأل الله أن يفك ويفرج الهم والغم عن جميع المسلمين في شتى بلاد المسلمين، حينما تحصل بعض النوازل، أو بعض الحروب، أو بعض كذا وكذا، تجد ممن هو لم يتعلم الأدب من أهل العلم أول ما يبادر يقول: أين علماء المسلمين؟ أين العلماء؟ أين كذا؟ وكثيرًا ما نسمع مثل هذه الأمور، وهذه من قلة الأدب مع أهل العلم.

أهل العلم هم صمام الأمان في جميع الأوطان، فلا يساء فيهم الظن، حينما يصدر كلامٌ من بعض أهل العلم تحذيرًا من أشخاصٍ، أو من جماعاتٍ، أو من فرقٍ حزبية يصدر من بعض العلماء تحذيرٌ من هؤلاء، نجد بعض الأشخاص ينبري ويقول لبعض الطلبة: انشغلوا بالعلم، لا تهتموا بهذه الأمور، لا تهتم بهذه المسائل، سبحان الله! كأنه يضع رأسه برأس هذا العالم الذي قد شابت لحيته في الإسلام، وهذا ليس من الأدب مع أهل العلم، أهل العلم إذا تحدثوا فإنما هو في مصلحة هؤلاء الناس، فيما يعود عليهم بالخير، قد يكون الكلام ثقيلًا في بعض الأمور، لكن مآله إلى خير، وإبعاد الناس عن الفتن، وإبعاد الناس عن الحروب، وإبعاد الناس عن المحن.

انظروا إلى كثيرٍ من السفهاء حينما تصدروا في الإعلام، وتصدروا في وسائل التواصل الاجتماعي وغير ذلك، قادوا بعض الدول إلى حروبٍ ومِحَن ندموا عليها الآن، في الوقت الذي قد حذر كبار العلماء من هذه الفتن، وبيَّنوا للناس أن مثل هذه فتن، فاجتنبوها، ولا تقربوها، لكن جاء من لم يعرف الأدب مع هؤلاء العلماء، وما تعلموا في مدرسة محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- ، ولا تأثروا بآثار صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- جاءوا وضربوا كلام هؤلاء العلماء، وأوقعوا الناس في شرٍّ ودماءٍ، وقتالٍ، وحروبٍ لا يعلم بشرها إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما سبب ذلك؟

هو قلة الأدب مع أهل العلم، وعدم معرفة قدر هذا العالم، علماء السنة في كل زمانٍ ومكان هم صمام أمانٍ للناس، وهم الذين يبينون للناس هذا الدين، ويبينون للناس ما هو الصواب، وما هو الخطأ، سواء كان في حياتهم، أو كان بعد وفاتهم.

حينما ننظر إلى حال صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما قال أبو سعيد الخدري -رَضِيَ الله عَنْهُ-: **"كنا جلوسًا في المسجد، إذ خرج رسول الله**

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فجلس إلينا، فكأن على رؤوسنا الطير لا يتكلم أحدٌ منا" تقدير للنبي الكريم، تقديرٌ لهذا العلم الذي يحمله هذا العالم.

لا بد لطالب العلم أن يعرف قدر أهل العلم، فلا يرفع صوته أمام شيخه، ولا يأتِ بأمورٍ لا يحسن أن تذكر أمام أهل العلم، بل لا بد من تقدير أهل العلم، وإحسان الظن بهم، لا كما نرى في زماننا هذا، يتكلم العالم بنصيحة، ويبين للناس خطورة جماعة حزبية، خطورة فرقةٍ ضالةٍ مضلة، يبين للناس هذا الأمر، فتجد من يخرج ويقول: هذا العالم يغتاب الناس.

وسبحان الله! الأيام تعيد نفسها، كان الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- يحذر من شخصٍ من أهل البدع، فقال له قائلٌ ممن كان جالسًا قال: يا أحمد، لماذا تغتاب الناس؟ يعني لماذا تتكلم عن الناس؟ قال: له أحمد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: (يا هذا، إذا سكتُ أنا، وسكتَّ أنت، فمن يبين للناس دينهم؟).

أليس من الواجب على المسلم أن يبين للناس طريق الخير فيتبعوه، ويحذرهم من طريق الشر فيجتنبوه؟ أليس هذا واجبًا على العالم أن يبينه، قد يكون القول فيه ثقل على النفس، لكن دين الله -عَزَّ وَجَل- لا بد أن يبيَّن، وأن يُبلَّغ للناس حتى تتضح الطريق للناس.

قال أيوب -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: (كان الرجل يجلس إلى المجلس ثلاث سنين، فلا يسأل العالم، فلا يسأل الشيخ، فلا يسأله عن شيء هيبةً له).

هكذا كانوا يقدرون علماءهم، فلذلك رأينا النور والخير قد انبثق من تلك الأزمنة، ومن تلك الفترات التي كان الناس يعرفون فيها قدر هؤلاء العلماء.

يقول الربيع بن سليمان، وهو صاحب الإمام الشافعي -رحمهم الله تعالى- يقول: (والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليَّ هيبةً له) هكذا كانوا يقدرون علماءهم ومشايخهم، نحن الآن في بعض الأزمنة إن نصحهم العالم نصيحةً ماذا قالوا؟ قالوا: هذا العالم ما يفهم شيء، هذا العالم يقصد كذا، ويقصد كذا، ويبدؤون يحرفون الكلام ويضربون كلام أهل العلم بعضهم ببعض، لكن العالم الفلاني ما قال، ولكن العالم الفلاني قال كذا، وعدم تأدب مع أهل العلم الذي هو من خلاف الأدب مع أهل العلم.

كذلك معاشر الإخوة حينما ننظر إلى الطالب مع شيخه:

إن كان حسن الأدب وجدت شيخه قد انبسط له وأعطاه من العلم ما لم يعطِ غيره، ننظر على سبيل المثال: الإمام مالك -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- ورحم الإمام الشافعي، حينما رأى الشافعي وهو جالسٌ في مجلسه أعجبه أدب هذا الإمام الشافعي، وهو صغيرٌ في السن، أعجبه أدبه، وأعجبه حسن سمته مع صغر سنه

–رحمة الله عليهم–؛ لذلك خصه بما لم يخص به غيره من العلم، فنبغ –رحمة الله عليه–، وصار علمًا من أعلام هذه الدنيا.

يقول ميمون بن مهران –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–: (لا تماري من هو أعلم منك، فإذا فعلت خزن عليك علمه، ولم تضره شيئًا) حبس عنك شيئًا من علمه ولم تضره شيئًا، كما هو واقع في زماننا يأتي شابٌّ صغير ويتحدث في علماء السنة الذي عُرِفوا بالسنة والصدع بها، والكلام فيها يأتي وهذا العالم قد شابت لحيته في الإسلام، فيأتي ويتكلم عليه، ويبين أن نصيحته هذه التي قد نصح الناس بها هذه نصيحة باطلة، وغير ذلك من الأمور التي يكون فيها من قلة الأدب مع هؤلاء العلماء ما يكون.

فالعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، فأهل العلم ينبغي أن نحسن الظن بهم، نحسن الظن بأهل العلم الذين قد عرفوا بالسنة، وعرفوا بالتمسك بها، والتحذير ممن خالفها، لا أن يأتي بعض الناس ويقول: اسمع من كل أحد كما يقولون، يقال: لا، هذا خلاف الأدب في العلم؛ لأن الناس قد تشعبت بهم المذاهب، وتشعبت بهم الطرق، فمنهم من سلك سبيل السنة، فهذا يؤخذ منه، ومنهم من خالف وفارق السنة فيحذر منه ولا كرامة،

فمثل هذه الأمور ينبغي على طالب العلم أن يعلم الأدب فيها، فيأخذ ممن عرف بالسنة وبالحق، ويلزم طريقتهم التي هم عليها.

هذه بعض المسائل التي أحببنا أن نقف عندها لا سيما من أبرز الأقوال في هذه الأمور: قول عبد الله بن المبارك قال: (من استخف بالعلماء ذهبت آخرته) هذه فيما يختص بالأدب مع العلماء.

ننتقل بعدها للنقطة التي تليها وهي الأدب مع الوالدين:

من الأمور الهامة جدًّا أن يكون طالب العلم مؤدبًا مع والديه، وعارفًا لقدرهما، ومحسنًا الصحبة لهما.

يقول عروة بن الزبير -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: (ما برَّ والده من شد الطرف إليه) يعني يحدثه والده بحديث فينظر له نظرة كأنه غير مرتاحٍ لكلام هذا الوالد، فهذا ليس من الأدب، بل هو خلاف الأدب، مقام الوالدين مقامٌ رفيع، أولاهم الله -عَزَّ وَجَل- مقامًا عاليًا ينبغي على المسلم، وعلى طالب العلم بشكلٍ خاص أن يلزم الأدب مع والديه.

لما مات عمر بن ذر قالوا لأبيه، لوالد عمر بن ذر قالوا: كيف كانت عشرته معك؟ يعني هذا ابنك الذي قد توفي، قال: (ما مشى معي قط في ليلٍ إلا كان

أمامي) يخاف على والده أن يعترضه شيء، (ولا مشي معي في نهارٍ قط إلا كان ورائي، ولا ارتقى سطحًا قط كنت تحته) هكذا عرفوا قدر آبائهم وأمهاتهم.

نسمع اليوم بعض من أكرمه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بطلب العلم نجده في أخلاقه وفي أدبه مع والديه سيئًا، غير متأدبٍ مع والديه، إن كان المسلم غير متأدبٍ مع والديه يعد هذا عيبٌ في المسلم، فما بالك بطالب علم؟! ماذا يقال في حقه إن كان غير متأدبٍ مع والديه.

جاء عن بعض السلف –رضوان الله عليهم-: قيل له: لماذا لا تأكل مع والدتك على مائدةٍ واحدة؟ قال: (أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون قد عققتها) هذا من تمام الأدب مع الوالدين.

يقول محمد بن المنكدر: (بات أخي يصلي في ليلة من الليالي، وبت أغمز قدم أمي) يعني يدلكه (وبت أغمز قدم أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته) متابعته لما هو في مصلحة والدته عده أعظم من قيام الليل الذي قامه أخوه.

يذكر أهل العلم عن حيوة بن شريحٍ وهو أحد علماء المسلمين، كان وهو قاعدٌ في حلقته يعلّم الناس، تناديه أمه تقول: قم يا حيوة فألقِ الشعير للدجاج، فماذا يفعل؟ فيقوم ويترك المجلس، ويفعل ما تأمره به أمه، هكذا عرفوا قدر هذا الوالد، وقدر هذه الأم.

وعمرو بن عبد الله يقول: نادته أمه فأجابها، فعلا صوته حينما أجابها، علا صوته فارتفع فوق صوتها، فأعتق رقبتين، تكفيرًا عن علو صوته على أمه وهو غير قاصد، فماذا يقال في حق شخصٍ تقصد وتعمد رفع الصوت على أمه أو على أبيه؟

يقول بعض العلماء: "من وقَّر أباه؛ طال عمره، ومن وقَّر أمه؛ رأى ما يسره، ومن أحدَّ النظر إلى والديه فقد عقهما".

ولنا في صحابة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- قدوة، هذا الصحابي الجليل العالم الكريم النبيل أبو هريرة -رَضِيَ الله عَنْهُ- كان إذا أراد أن يخرج من بيته وقف على باب أمه، فقال: السلام عليكِ يا أماه ورحمة الله وبركاته، فتقول: وعليك السلام يا ولدي ورحمة الله وبركاته، فيقول لها: رحمكِ الله كما ربيتني صغيرًا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرةً، وإذا أراد أن يدخل صنع مثل ذلك، تأدب وحسن خلق مع هذه الوالدة، وهذا الوالد.

والنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «**الوَالِدُ أَوْسَط أَبْوَاب الجَنَّة، فَمَنْ شَاءَ فَلِيَحْفَظ هَذَا البَاب، ومَنْ شَاء فَلِيُضِعه**»[1] وهذا وعيدٌ شديد من النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٢ / ١٦٧) برقم: (٤٢٥)

ثم ننتقل معاشر الإخوة إلى النقطة الأخيرة وهي الأدب مع السلطان:

وهذا بابٌ عظيم قد وقع الإخلال في هذه الأزمنة وما قبلها، لكن للأسف الشديد في هذه الأزمنة تلبس المخالفون فيها بلباس السنة، وحاشا سنة النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- من منهج الخوارج البغيض، النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- انظروا إلى قوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَنْ أَكرم سُلطَان الله أَكْرَمَهُ الله، وَمَنْ أَذَلَّه أَذلَّه الله»[1] نبينا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يبيِّن لنا أن السلطان له مقامٌ رفيعٌ ينبغي أن تتأدب معه أيها المسلم، أن تحترم هذا المقام الذي قد ولاه الله -عَزَّ وَجَل- عليك.

لذلك قال عبد الله بن المبارك -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: (من استخف بالأمراء ذهبت دنياه).

النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما جاء عن أنس، قال: نهانا كبراءنا من أصحاب الرسول -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- فقالوا: (لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب).

نأتي إلى بعض الناس في هذه الأزمنة ممن تسمى وانتسب إلى السنة زورًا وبهتانًا، تجده مخالفًا للأدب في هذه الأمور، النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ٨١) برقم: (٢٢٢٤)

وكبار صحابته –رضوان الله عليهم– يقولون: لا تسبوا أمراءكم، تجده يقع في سب الأمراء، والحاكم الفلاني فعل كذا، والحاكم الفلاني فعل كذا، وما شأنك أنت؟! النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– وصحابته –رضوان الله عليهم– ينقلون لنا قولهم: (**لا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلا تَغِشُّوهُمْ وَلا تَبْغَضُوهُمْ وَاتَّقُوا الله واصْبِرُوا**).

نبينا –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– يبين لنا أدبًا رفيعًا في مثل هذا الباب، وهي مسألة النصيحة، فيقول: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَح لِذِي سُلْطَان فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِية**» في أيامنا هذه يقف على المنبر في بعض البلدان، ويخرج في وسائل التواصل، أو التلفاز، أو غير ذلك، ويرى أنه من الصدع بالحق، وهو صدعٌ بالباطل والعياذ بالله، وخلاف الأدب مع سنة النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–، وخلاف الأدب مع هذا السلطان الذي له مكانة وهيبة إذا نُزِعَت عمّت الفوضى، وحل الخراب، وصار الدمار في بلاد المسلمين.

يقول النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَح لِذِي سُلْطَان فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِية، وَلِيَأْخُذ بِيَدِه، فَإِنْ سَمِعَ مِنْهُ فَذَاك، وإِلَّا فَكَانَ أَدَّى الذِي عَلَيْه**»[1] أدبٌ رفيع يرشدنا إليه نبينا –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–.

---

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (٣/ ٢٩٠) برقم: (٥٣٠٥)

وهكذا كان أبو الدرداء -رَضِيَ الله عَنْهُ- يقول: **"أول نفاق المرء طعنه على إمامه"** فالإمام والسلطان له آداب ينبغي على المسلم وعلى طالب العلم بشكلٍ خاص أن يكون متأدبًا بها.

لذلك معاشر الإخوة والأخوات نقول: إن هذه المسائل من الأهمية بمكان، وينبغي على طالب العلم أن يحرص عليها أشد الحرص، لا سيما وهو يخالط الناس، والنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يقول: «**اتَّقِ الله، وَاتبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ سَمحها، وَخَالِقِ النَّاس بِخُلِقٍ حَسَن**»[1] فالأخلاق الحسنة والأدب الرفيع هو الذي يبقى لك من ذكرٍ للناس، ومن حسناتٍ تتركها بعد وفاتك.

يقول الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: (أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب، ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب).

ثم يمثِّل على هذا فيقول: (فانظر إلى الأدب مع الوالدين، كيف نجى صاحبه من حبس الغار) يشير إلى قصة ذاك الرجل حينما دخلوا الغار فسقطت عليهم الصخرة، فحُبِسُوا، فتذكر كل واحدٍ منهم عملًا صالحًا، فقال أحدهم: أن له أبوان كبيران ...إلى آخره.

---

(١) أخرجه والترمذي في "جامعه" (٣ / ٥٢٦) برقم: (١٩٨٧)

يقول ابن القيم: (انظر إلى الأدب مع الوالدين كيف نجى صاحبه من حبس الغار حينما أطبقت عليهم الصخرة)، ثم يشير إلى أمرٍ آخر، وانظر إلى الإخلال به؛ يعني الإخلال بالأدب مع الوالدين (وانظر إلى الإخلال به مع الأم تأويلًا) يعني من غير قصد (وإقبالًا على الصلاة كما حصل من الراهب وهو من غير قصد، الإخلال به تأويلًا، وإقبالًا على الصلاة كيف امتُحِنَ صاحبه بهدم صومعته، وضرب الناس له، ورميه بالفاحشة)، فهذا الأدب، وهذا ما يخالفه، فانظر إلى هذا وهذا تعرف معنى قوله: (أن أدب المرء عنوان سعادته، وقلة أدبه عنوان شقاوته).

يقول: (وانظر أدب الصديق -رَضِيَ الله عَنْهُ- مع النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الصلاة حينما تأخر النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- وحُبِس عن الصلاة) حبس النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- (فجاءه أبو بكر -رَضِيَ الله عَنْهُ- وقد تقدم ليصلي بالناس، فنظر أبو بكر إلى النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، فتأخر فأشار إليه النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن أمكث مكانك، لكن أبا بكر -رَضِيَ الله عَنْهُ- قال: "ما ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-" فرجع خطوات؛ قدمته درجات، فصار إمامًا للمسلمين بعد نبينا -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

هكذا معاشر الإخوة والأحبة، هكذا الأدب يفعل بصاحبه، وهكذا الأدب يرفع صاحبه. نسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

****

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】
https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】
https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】
https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☎ https://api.whatsapp.com/send?phone=971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/vHJbem

【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة